***Journal of Religion & Society* (JR&S)**
Available Online:
https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index
Print ISSN: 3006-1296Online ISSN: 3006-130X
Platform & Workflow by: Open Journal Systems

The Dilemma of Freedom Between Moral Regulation and Absolute Liberation: A Reading of the Thought of Bediuzzaman Said Nursi

إشكالية الحرية بين الضبط الأخلاقي والتحرر المطلق: قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي.

Imrana
Ph.D Scholar, Department of Aqeedah & Philosophy, International Islamic University Islamabad, Pakistan
imrana.vt5514@iiu.edu.pk
Dr. Ibrahim bin Mian Jan
Assistant Professor, Department of Aqīdah and Philosophy, International Islamic University, Islamabad, Pakistan
ibrahim.mian@iiu.edu.pk

Abstract
This study explores the complex problematic of freedom as situated between moral discipline and absolute liberation, with particular reference to the thought of Bediuzzaman Said Nursi. The research aims to analyze the conceptual boundaries of freedom within Islamic intellectual tradition and to examine how Nursi reconciles individual liberty with ethical and social responsibility. Employing an analytical and inductive methodology, the study begins by clarifying the linguistic and terminological meanings of freedom and liberation. It then investigates the concept of freedom as presented in the Holy Qur'an, highlighting its intrinsic connection with moral accountability, divine guidance, and human dignity. The research further examines Nursi's conception of legitimate (shar'i) freedom, emphasizing its foundation in faith, moral restraint, and social harmony. It argues that, according to Nursi, true freedom is not synonymous with unrestricted autonomy but is realized through adherence to ethical principles that safeguard both individual and collective well-being. Additionally, the study analyzes Nursi's engagement with the concept of constitutionalism and his critique of the Committee of Union and Progress, illustrating his موقف toward political authority, justice, and societal reform. The findings demonstrate that Nursi offers a balanced framework that rejects both moral absolutism devoid of freedom and unrestrained liberalism lacking ethical grounding. The study concludes that Nursi's thought provides a comprehensive and relevant model for understanding freedom in contemporary discourse, particularly in reconciling modern notions of liberty with enduring moral values.

Keywords:
Freedom, Moral Discipline, Absolute Liberation, Bediuzzaman Said Nursi, Islamic Thought, Qur'anic Perspective, Shar'i Freedom, Constitutionalism, Ethics, Social Responsibility

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرّمه بالعقل والإرادة، وجعل له حرية الاختيار في إطار من المسؤولية الأخلاقية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسى دعائم الحرية المنضبطة بالقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تُعدّ قضية الحرية من أبرز القضايا الفكرية التي شغلت الإنسان قديمًا وحديثًا، نظرًا لما لها من تأثير مباشر في تشكيل وعي الفرد وبناء المجتمع. وقد تباينت التصورات حولها بين من ينادي بالتحرر المطلق دون قيود، ومن يرى ضرورة

إخضاعها لضوابط أخلاقية وتشريعية تحفظ التوازن بين حقوق الفرد ومصالح الجماعة. ومن هنا تنشأ إشكالية هذا البحث، التي تتمثل في محاولة فهم العلاقة بين الحرية والانضباط الأخلاقي، وحدود كل منهما في ضوء الفكر الإسلامي.

ويبرز فكر بديع الزمان سعيد النورسي بوصفه نموذجًا متميزًا في معالجة هذه الإشكالية، حيث قدّم رؤية متوازنة تجمع بين تأكيد حرية الإنسان وضرورة التزامه بالقيم الدينية والاجتماعية. كما ناقش مفهوم المشروطية في سياق التحولات السياسية والفكرية التي شهدها عصره، مبديًا موقفًا نقديًا متزنًا من تطبيقاتها، خاصة في إطار جمعية الاتحاد والترقي. وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يسهم في إبراز الرؤية الإسلامية للحرية باعتبارها حرية مسؤولة، ويكشف عن جهود النورسي في التوفيق بين متطلبات العصر وثوابت الشريعة. كما يهدف إلى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالحرية والتحرر.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي، من خلال دراسة نصوص النورسي وتحليلها، واستقراء دلالاتها الفكرية، مع الاستفادة من المصادر الأصيلة والحديثة ذات الصلة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ حيث تناول التمهيد تعريف الحرية والتحرر، وخصص المبحث الأول لبيان مفهوم الحرية في القرآن الكريم، بينما تناول المبحث الثاني تصور النورسي للحرية الشرعية وضوابطها، في حين ناقش المبحث الثالث مفهوم المشروطية ونقد النورسي لتطبيقاتها، ثم خُتم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

الحرّية والتحرر في اللغة

الحرية في اللغة العربية مشتقة من الفعل "حرر".[1] ويقابلها في الاسم "الحر"، وهو نقيض العبد، أي المعتق والمستقل عن الرقّ.[2] وتُستعمل الحرية في اللغة العربية للدلالة على معانٍ متعددة، منها السلامة من العبودية والخلاص من الشوائب والخصائل الرذيلة. ويُقال على سبيل المثال: "تحرير رقبة"، أي عتقها ومنحها الحرية.[3]

لقد اعتُبر الحرّ في الثقافة العربية أفضل الناس وأشرفهم، اذ هو غير خاضع لأي قهر أو قيود أو غلبة، ويتصرّف وفق إرادته وطبيعته، وهي بالتالي نقيض العبودية. فكان فيه خصلة تميّزه عن غيره من العبيد.[4]

---

[1]) انظر: الرازي، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر،1399هـ -1979م) ج 2، ص 6.

[2]) ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 118.

[3]) انظر: مقاييس اللغة، ج 2، ص 6؛ الحصاص، ابي بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، ت: محمد الصادق (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1405هـ) ج 4، ص 121.

[4]) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، ج 1، ص 470. وتاج العروس، ج 10، ص 587. ولخوارزمي، ناصر بن برهان الدين، المغرّب في ترتيب المعرّب (بيروت، دار الكتاب العربي) ج 1، ص 10.

ومن منظور عقدي، تُعرّف الحرية بأنها القدرة على التصرف بإرادة كاملة واختيار مستقل.[5]
فالحرية في المعنى اللغوي تتضمن الخلاص من الرق والقيود، والتخلص من العيوب والنقائص، والتحرر من أي قسر خارجي، وتمكين الفرد من التصرف بحرية كاملة دون إخضاع لأي مخلوق.

التحرّر في اللغة يُقال: تحرّر العبد، أي أصبح حرًّا بعد أن كان مقيّدً. ويُقال: تحرّر الشعب، أي تخلّص من الاستعمار وسيطرة الأجنبي. كما يُقال: تحرّرت الأرض، أي زال عنها الاحتلال وعادت إلى أصحابها.[6]

الحرية في الاصطلاح

يُفرَّق عند بيان معنى الحرية في الاصطلاح بين معناها الحقيقي ومعناها المجازي. فالمعنى الحقيقي، كما استُعمل في لغة العرب وجرى عليه المفكرون الإسلاميون القدماء، يدل على الخلاص من الرق والعبودية أو السلامة من العيوب والنقائص، وقد عُرِّفت الحرية حينئذ بأنها الخروج عن الرق، أو الاستقلال عن سيطرة المخلوقات، والتحرر من الأهواء والمطامع الدنيويةَ.[7].

أما المعنى المجازي للحرية، وهو الذي اعتمده المفكرون الإسلاميون المعاصرون، فيقوم على قدرة الإنسان على التصرف في أفعاله عن إرادة واختيار دون إكراه أو ضغط خارجي، بحيث يكون قادراً على الفعل أو الترك وفق مشيئته، وبذلك تُعد الحرية قدرة وحقاً ومسؤولية في آنٍ واحد تجاه الآخرين.[8]

وقد غلب في الفكر الإسلامي استعمال مصطلح **الاختيار** بدل مصطلح الحرية، لا سيما عند المعتزلة، الذين جعلوه في مقابل الجبر.[9] فالجبرية يرون أن الإنسان مجبر على أفعاله ولا قدرة له أصلا،[10] بينما ذهب المعتزلة إلى أن الإنسان خالق لأفعاله ومسؤول عنها ثواباً وعقاباً،[11] أما الأشاعرة فيرون أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله وحده مع حصول الكسب للعبد.[12]ويقرر أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد، خيرها وشرها، واقعة بقدرة العبد واختياره، ولهذا يحاسب ويجازى، ومع هذا فهي مخلوقة لله تعالى، واقعة بإرادته وحكمته. [13]

([5]) انظر: د. محمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء (بيروت، دار النفائس، ط 2، 1408هـ) ج 1، ص 179؛ الزهيلي وهبة، حق الحرية في العالم، ط ١، ص ٣٩.

([6]) انظر: المعجم الوجيز؛ معجم اللغة العربية ، ص143، 1995م.

([7]) انظر: د.على حسن الروبي، مفهوم الحرية في الإسلام ومفهومها في فكر الغربي(شبكة الالوكة) ص8؛ معجم مقاليد في العدد والرسوم، ط ١، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٨؛ الزهيلي وهبة، حق الحرية في العالم، ط ١، ص ٣٩.

([8]) انظر: الزحيلي، وهبة: حق الحرية في العالم (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط 1) ص 39؛ البستاني، بطرس، دائرة المعارف (دار المعرفة) ج 7، ص 3.

([9]) انظر: د.محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (ط1، 1430 هـ) ص 15.

([10]) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة (المؤسسة العربية للدراسات، ط 1، 1984هـ) ج 1، ص 459.

([11]) نفس المصدر، ج 1، ص 45.

([12]) د.غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (جدة، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط 4، 1422هـ) ج 3، ص 1233.

([13]) انظر: التميمي، ابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، أصول الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1423هـ-2002م) ص 166.

المبحث الأول

حرية الإنسان في القرآن الكريم

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ومنحه حرية الاختيار والإرادة، ليكون قادرًا على تحمل مسؤولية المنهج الذي كُلّف به. وقد أيّد القرآن الكريم هذه الحقيقة، موضحًا أن هذه الحرية لا تتعارض مع مشيئة الله وعلمه المطلق، كما جاء في قوله تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا [14]، وهو دليل على أن الله لم يجبر البشر على الإيمان، بل ترك لهم حق الاختيار الكامل بين الإيمان والكفر.

وقد رفع الله سبحانه وتعالى عن البشر الجبر والإكراه في العقيدة، فقال: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"[15] و"لا إكراه في الدين"[16] وهذا يعني أن الإنسان حر في الفكر والاعتقاد، وأنه لا يُجبر على الطاعة أو المعصية، ولا يُفرض عليه تبني دين أو مذهب معين بالقوة. بل وُضع أمام خيارين واضحين، كما جاء في قوله تعالى: "انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا".[17] أي أن لكل إنسان حق الاختيار والتصرف الإرادي.

وبما أن الإنسان مكلف ولديه حرية الإرادة، فقد ربط الله سبحانه وتعالى هذه الحرية بالمسؤولية والمحاسبة، فقال: " كل نفس بما كسبت رهينة"[18]، وهذا يؤكد أن الحرية الإلهية للإنسان تقتضي مسؤوليته عن أفعاله، والمسؤولية تستلزم التكليف، فالإنسان الذي تتوافر فيه شروط التكليف، أي القدرة على الاختيار والعمل الإرادي، يصبح مسؤولًا أمام الله عن قراراته وأعماله.

وبذلك، تتضح العلاقة الوثيقة بين الحرية والمسؤولية: فكلما كان الإنسان أكثر حرية، كلما ارتفعت درجة مسؤوليته، وبمقدار ما يُمنح من قدرة على الاختيار، يتحمل تبعات أفعاله على نحو مباشر وعادل.[19]

وبالتالي: يتضح من القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان **حرية الاختيار والإرادة** لتكون أساسًا لتحمله المسؤولية عن أفعاله. وهذه الحرية ليست انفلاتًا أو تجاوزًا، بل **مرتبطة بالتكليف الإلهي** وبالقدرة على التمييز بين الخير والشر. فالإنسان مكلف بما يختاره، سواء في الإيمان أو الكفر، والطاعة أو المعصية، وبالتالي **كل حرية مصحوبة بمسؤولية مباشرة أمام الله** .كما أن القرآن يوضح أن الجبر والإكراه في العقيدة مرفوضان، وأن الطريق مفتوح أمام الإنسان ليختار بحرية ووعي، ما يجعل العلاقة بين الحرية والمسؤولية علاقة وثيقة لا انفصال فيها، فكلما زادت الحرية زادت المسؤولية، وبمقدار ما يختار الإنسان، يتحمل تبعات أفعاله.

المبحث الثاني

([14]) يونس: 99.

([15]) الكهف: 29.

([16]) البقرة: ٢٥٦.

([17]) الإنسان: 3.

([18]) المدثر:38.

([19]) انظر: د. أحمد عبد الرحيم السائح، قضايا معاصرة في فكر النورسي (لقاهرة، سوزلر) ص ١٢٠.

تصور بديع الزمان سعيد النورسي للحرية الشرعية وضوابطها الفكرية والاجتماعية

يرى بديع الزمان سعيد النورسي أن الحرية الحقيقية هي تلك التي يعيشها الإنسان في إطار الشريعة الإسلامية، بوصفها نظامًا إلهيًا يوازن بين متطلبات الروح والجسد، وبين الحقوق والواجبات. فالحرية عنده ليست انفلاتًا من القيم أو تحررًا من الضوابط، بل هي حياة واعية منضبطة تقوم على أسس ومبادئ الدين الإسلامي.[20]

أما الحرية التي لا تضبطها قيود الشريعة تنقلب إلى فوضى وفساد، إذ تتحول إلى ذريعة لإطلاق الشهوات والإخلال بالنظام الأخلاقي والاجتماعي باسم الحرية.حيث يقول: " الحرية المطلقة ما هي إلا الوحشية المطلقة بل هي بهيمة.... إن الحرية الخارجة عن دائرة الشرع، إنما هي استبداد أو أسرٌ بيد النفس الأمارة السوء،أو بهيمة أو وحشية".[21]

لذلك فإن الحرية في تصوره حرية مسؤولة، مهذّبة، وتكريمية للإنسان، تحمي كرامته وتمنعه من الوقوع في الاستعباد للنزوات والأهواء. حيث يقول:" أن الحرية تزدهر بمراعاة الأحكام الشريعة وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة".[22]

وفي هذا السياق يلتقي النورسي مع فلاسفة الإسلام الذين قرروا أن الحرية إن لم يوجد لها ضوابط كانت هي الفوضي بعينها.[23]

و"الحرية الشرعية" التي يدافع عنها النورسي هي التي توجه الطاقات البشرية نحو التنافس الإيجابي في الخير والتقدّم، ضمن إطار أخلاقي وقيمي، يضمن عدم تجاوز الحدود، و ترشد نحو الكمال الروحي والعلمي والأخلاقي بدلامن التسابق المادي المدمر حيث يقول: "إن الحرية الشرعية ألتى ترشد البشرية إلى سبيل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التطلع. والحرية الشرعية تعنى التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها. [24]

وانطلاقًا من هذا التصور، يربط النورسي الحرية الشرعية ببعدها الاجتماعي والعملي، بوصفها قوةً محرِّرة من الاستبداد الخارجي والداخلي، ومحرِّكًا فاعلًا لتوجيه الإنسان نحو بناء المستقبل بالعلم والعمل، في إطارٍ قيمي يوازن بين المسؤولية والحرية ويقول: "إن الحرية الشرعية التي هي حقيقة اجتماعية قد انتصبت على ذري المستقبل شامخة شموخ جبل سبحان وآرات، هذه الحرية المستندة إلى الشريعة تحذركم من الانصياع إلى النفس الأمارة بالسوء ومن التجاوز على

---

20 انظر: د.عزت قرني، العدالة والحرية، ص ١٤٠.

21 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام (دار سوزلر، ط ٦، ٢٠١١) ص ٥٠٤.

(22) صيقل الإسلام، ص437.

23 انظر: محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي، ط دار الشروق، ١٩٨٠م، ص ٢١٦.

(24) صيقل الإسلام، ص470. مصدر سابق.

الآخرين. وإنها لتهتف بكم وبأمثالكم من الغافلين المتفرقين في أودية الماضي السحيقة: أن اهجموا على الجهل والفقر بالعلم والصنعة".[25]

فالشيخ سعيد النورسي لا ينظر إلى الحرية الشرعية بوصفها مجرد مفهوم نظري، بل يراها قوة عملية ذات بعد اجتماعي تُحرِّر الإنسان من الاستبداد الخارجي ومن هيمنة الأهواء الداخلية، وتوجّه طاقاته نحو بناء المستقبل بالعلم والعمل، ضمن إطار أخلاقي يحقق التوازن بين الحرية والمسؤولية.

ثم يبين أهمية الحرية الشرعية ويقول: " إن الحرية الشرعية عطية الرحمن وتجل من تجليات الخالق الرحمن الرحيم ، وهي خاصة من خصائص الإيمان. "[26]

وبالتالي الحرية التي يريد النورسي تأصليها هي: "الحرية الإنسانية الساطعة كالشمس ، وهي معشوقة كل روح ،وصنو وجوهر الإنسانية ، وما هي إلا التي تربعت على قصر سعادة المدنية ، وتزينت بحلل المعرفة ، وحلى الفضيلة والتربية الإسلامية "(27)

هنا يؤسّس النورسي مفهوم **الحرية الإنسانية** بوصفها قيمةً مركزيةً ملازمةً لجوهر الإنسان وكرامته، إذ يراها ضرورةً فطرية لا تستقيم الإنسانية من دونها. ويشبّه النورسي هذه الحرية بالشمس في إشراقها ووضوحها وأثرها الحيوي في حياة الفرد والمجتمع، معتبرًا إياها معشوقةَ كلّ روح وصنوَ الإنسانية وجوهرها. غير أنّ الحرية عنده لا تُفهم بمعزل عن أطرها المعرفية والأخلاقية، إذ يؤكد أن ازدهار المدنية وسعادتها لا يتحقق إلا بحريةٍ واعيةٍ متربّعةٍ على أسس العلم والمعرفة، ومتحلّيةٍ بقيم الفضيلة والتربية الإسلامية. ومن ثمّ، فإن الحرية في فكر النورسي ليست تحررًا منفلتًا ولا قيدًا استبداديًا، بل هي حرية مسؤولة تضبطها الأخلاق ويهذّبها الإيمان، بما يضمن تحقيق التوازن بين كرامة الفرد وصلاح المجتمع.

يرى النورسي أن بعض دعاة الحرية استغلّوا شعار الحرية لتمرير أفكار فاسدة، فشوّهوا مفهوم المشروطية الشرعية وربطوها بالنموذج الغربي، بل صوّروا الشريعة على أنها سبب الاستبداد والظلم. لذلك تصدّى لهم لبيان أن الحرية الحقيقية لا تنفصل عن القيم الشرعية، وأن المشروطية الصحيحة تقوم على العدل والشورى، لا على الاستبداد المقنّع. حيث يقول: "انني عارضت شعبة – الاتحاد والترقي – المستبدة هنا... وتسمّت بالمشروطية، بينما مثّلت الاستبداد في الحقيقة..... ولكن لأنني قد عاهدت المشروطية الحقيقية المشروعة، سأصفع الاستبداد إن قابلته في

[25] صيقل الإسلام، ص ٤٣٥.

([26]) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص514.

[(27)] بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام ، ص394.

أي لباس كان، حتى لو كان لابسًا ملابس المشروطية أو تقلّد اسمها. وفي اعتقادي أن أعداء المشروطية هم أولئك الذين يشوهون صورتها بإظهارها مخالفة للشريعة ، وأنها ظالمة ، فيكثرون بهذا أعداء الشورى أيضاً " [28]

يتضح مما سبق أن مفهوم الحرية عند بديع الزمان سعيد النورسي لا يقوم على الانفلات من القيود، بل على الانضباط بالقيم الشرعية التي تحفظ توازن الإنسان بين متطلبات الروح والجسد، وتضمن انسجام الفرد مع المجتمع. ومن خلال هذا التصور، يتبين أن "الحرية الشرعية" ليست مجرد إطار نظري، بل رؤية إصلاحية شاملة تهدف إلى تهذيب السلوك الإنساني، ومواجهة الاستبداد بمختلف صوره، وتوجيه الطاقات نحو البناء والعلم والعمل. وبناءً على ذلك، يمكن الانتقال إلى خلاصة هذا المبحث التي تُبرز أهم النتائج المتوصل إليها في فكر النورسي حول الحرية.

المبحث الثالث

مفهوم المشروطية و نقد جمعية الاتحاد والترقي عند بديع الزمان سعيد النورسي.

أولًا: مفهوم المشروطية

بين بديع الزمان سعيد النورسي:

" أن المشروطية إن كانت تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة ، فليشهد الثقلان أني منها مرتجع، –وهي زور وباطل– ذلك لأن الإتحاد القائم على الكذب كذب أيضا، والمشروطية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة، مشروطية فاسدة". [29]

ومن جهة أخرى، يوضح النورسي مفهومه لـ المشروطية الحقة، وهي المشروطية التي تستحق الاستمرار والبقاء، ويقول:

" المشروطية الحقة التي لها الدوام والبقاء هي المشروطية القائمة على الحق وعلى الصدق وعلى المحبة وعلى أساس عدم الامتيازات". [30]

وفي هذا السياق، يقدّم الإمام النورسي فهمه للمشروطية، بوصفها نظامًا قائمًا على الشورى الشرعية، فيقول:

"المشروطية: مجلٍّ وتفسير لآيتي { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } فهي المشورة الشرعية .. فقوة ذلك الوجود المنور هو الحق ... وحياته هي العدالة ... وقلبه هي المعرفة .. ولسانه هي المحبة ... وعقله هو القانون لا الشخص..إن روح المشروطية أن تكون القوة في القانون ، والأمر والنهي في يد الحق والمرء خادماً..إذ المشروطية

---

[28] بديع الزمان النورسي : صيقل الإسلام ، ص453،452.

[29] بديع الزمان النورسي : صيقل الإسلام ، ص ٤٢٥.

[30] بديع الزمان النورسي : صيقل الإسلام ، ص ٤٢٥ .

هي حاكمية الأمة، والحكومة ليست إلا خادمة. ولئن صدقت المشروطية فالقائمقام والوالي ليس رؤساء بل خداماً مأجورين".[31]

ثانيًا: موقف النورسي من المشروطية

وانطلاقًا من هذا التصور للمشروطية، يرى بديع الزمان سعيد النورسي أنه يرفض أي مشروطية تتَّخذ ذريعةً لمخالفة الشريعة أو لاستبداد فئة معيّنة بالحكم، ويصرّح بقوة أنه لو كانت المشروطية بهذا المعنى الفاسد فهو منها بريء، بل يعدّ نفسه مرتجعًا عنها. ويؤكد أن الاتحاد القائم على الكذب هو كذب في ذاته، وأن أي نظام سياسي يقوم على أسس فاسدة أو مفسدة لا يمكن أن يكون صالحًا أو مشروعًا.[32] وبناءً على هذا الأساس المعياري، يتحدد موقفه العام من المشروطية بوصفها مفهومًا مشروطًا بالقيم لا قيمةً مطلقة في ذاتها.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن خلاصة موقفه هي أن المشروطية ليست مرفوضة لذاتها، وإنما تُقبل أو تُرفض بحسب الأسس التي تقوم عليها؛ فإذا قامت على العدل والقيم الأخلاقية كانت "مشروطية حقة" جديرة بالقبول والاستمرار، أما إذا قامت على الظلم أو مخالفة الشريعة فإنها تفقد مشروعيتها وتصبح صورة فاسدة من الحكم. وفي هذا الإطار التحليلي نفسه ينتقل النورسي إلى نقد التطبيقات السياسية للمشروطية التي لم تلتزم بهذا الشرط القيمي. كما لم يقتنع بالنُّظم البرلمانية التي تزعم أنها تضمن الحرية، لأن الحرية في ظل النُّظم الاستبدادية ليست حرية حقيقية، بل هي شبيهة بحال من يُزَجّ به في السجن ثم يُقال له: يمكنك أن تتحرك، ولكن داخل حدود هذا السجن وتلك الغرفة. فهذه ليست حرية، وإنما وهمٌ يُقدَّم في صورة حق. ومن هذا التصور النقدي للحرية الشكلية، ينفتح موقفه على تحليل أوسع لمخاطر الاستبداد المتستر بالشعارات الحديثة.

وفي هذا السياق، يكشف النورسي أن أصحاب الأفكار الفاسدة يسعون إلى إحياء الاستبداد والمظالم تحت غطاء الحرية، محذرًا من تكرار صور الاستبداد التي طواها الماضي، والظلم الذي جرفته تقلبات الزمان. ومن هذا المنطلق، يعبّر عن رغبته في إقامة "سدٍّ حديدي بين الماضي والحاضر" عبر توضيح التاريخ الحقيقي لحياة الحرية، مؤكدًا أن نجاحها مرهون بإسنادها إلى الشورى الشرعية؛ إذ يرى أن "هذا الانقلاب لو أعطى الحرية التي أولدها إلى أحضان الشورى الشرعية لتربيتها، فستبعث أمجاد الماضي لهذه الأمة قوية حاكمة". أما إذا خضعت الحرية للأهواء والمصالح الشخصية، فإنها – بحسب النورسي – "ستنقلب إلى استبداد مطلق، فتموت تلك المولودة في مهدها".[33]

ومن هنا يتضح أن الشورى الشرعية تمثل عنده الضابط المركزي لمنع انحراف الحرية.

وانطلاقًا من حرصه على حماية هذه الحرية من الانحراف، تبنّى النورسي مبدأ المشروطية في إطار الشريعة، وجاهد لتخليصها من مظاهر التلوث الفكري والسياسي، موضحًا هدفه بقوله: "فأنا أنشر اليوم ذلك الخطاب لأنقذ

---

(31) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية ، ص ١٠٥.

(32) انظر: بديع الزمان النورسي : صيقل الإسلام ، ص ٤٢٥.

(33) بديع الزمان النورسي : سيرة ذاتية ، ص82،81.

المشروطية من التلوث، وأنجّي أهل الشريعة من اليأس، وأُخلّص أبناء العصر من وصم الجهل والجنون، وأنتشل الحقيقة من الأوهام والشبهات".[34]

ويتأسس هذا التوجه على فهمه الخاص للعلاقة بين الشريعة والنظام السياسي.

ويصرّح بأن مشروعه الفكري كان يهدف إلى ترسيخ مفهوم الحرية المنضبطة بأحكام الشريعة، أو ما يسميه بالمشروطية المشروعة القائمة على مبدأ الشورى، معتبرًا إياها المدخل الأساس لتحقيق نهضة العالم الإسلامي وتقدمه الحضاري. ويؤكد أن تعلقه بهذا المفهوم نابع من قناعته العميقة بدوره الإصلاحي، فيقول: "إن سبب افتتاني بمحبة معنى المشروطية هو أن المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل هو المشروطية المشروعة والحرية، التي هي ضمن نطاق الشريعة، وأن مفتاح حظ الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروطية... فلتعش المشروطية المشروعة... ولتدم الحرية النيرة المسترشدة بتربية حقيقية الشريعة". [35] ويعزز هذا التصور تأكيده على أن المشروطية لا تنفصل عن المرجعية الشرعية.

كما يوضح النورسي أن المسلك الحقيقي للشريعة الإسلامية يتجسد في حقيقتها المتوافقة مع المشروطية المشروعة، مؤكدًا أن قبوله بهذا النظام لم يكن استجابة لتقليد النموذج الغربي أو تنازلاً عن أحكام الشريعة، بل جاء استنادًا إلى أدلة شرعية معتبرة. وفي هذا السياق يقول: "أن المسلك الحقيقي للشريعة، إنما هو حقيقة المشروطية المشروعة.. بمعنى أنني رضيت بالمشروطية بالدلائل الشرعية، وليس كما رضي بها بعض دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليداً، وفهموها خلافاً للشريعة.. لذا فلم أتنازل عن الشريعة ولم أعطها أتاوة لشيء".[36]

ومن هذا المنطلق، هو يفسر سوء الفهم الغربي لطبيعة الشريعة. ويرجع سبب شيوع التصور القائل بأن الشريعة تدعم الاستبداد وتناهض المشروطية إلى التأثر بالفهم الأوروبي الخاطئ لطبيعة الشريعة الإسلامية، وهو تصور يرى أنه تغذّى على واقع الجهل والتعصب السائدين في المجتمعات الإسلامية آنذاك، مما أسهم في ترسيخه في الذهنية الأوروبية، فيقول: "إن أوربا تظن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه، حاش وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشيان فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد"[37]

وفي مقابل هذا التصور، يحدد موقفه الإصلاحي المبكر من المشروطية. ويعبّر عن أسفه العميق لهذا التصور السلبي، مؤكدًا أنه واجه هذا الظن عمليًا من خلال دفاعه المبكر عن المشروطية باسم الشريعة، وتأكيده على انسجامها مع مقاصدها، إذ يقول: "لذا تألمت كثيراً من أعماق قلبي على ظنهم السيئ بالشريعة، فكما أنني أُكذب ظنهم فقد رحبت بالمشروطية باسم الشريعة قبل أي شخص....

---

(34) بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام، 440 .

(35) بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام، ص462.

(36) بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام، ص442 ؛ وأنظر: سيرة ذاتية، ص ١٠٧.

37 انظر:سيرة ذاتية، ص ١٠٧.

وفي هذا السياق الإصلاحي، يواصل النورسي تأكيد ضرورة تأطير المشروطية ضمن الفهم الشرعي الصحيح. وانطلاقًا من هذا الموقف، يدعو إلى ضرورة فهم المشروطية في إطارها الشرعي الصحيح، ويحذّر من مخاطر استغلالها من قبل أنماط جديدة من الاستبداد المتستر، كما يؤكد على أهمية تقييد الحرية بضوابط الشريعة وآدابها، حتى لا تتحول إلى فوضى اجتماعية أو انحراف سلوكي، حيث يقول: "أفهموا المشروطية في ضوء المشروعية وتلقوها على أساسها، ولقنوها الآخرين على هذه الصورة، كي لا تلوثها اليد القذرة لاستبداد جديد متستر وملحد، باتخاذ ذلك الشيء الطيب المبارك ترساً لأغراضه الشخصية. قيدوا الحرية بآداب الشرع، لأن عوام الناس والجاهلين، يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون، بعد أن ظلوا أحراراً سائبين بلا قيد وشرط". [38]

ويؤسس هذا كله على مرجعية الشريعة بوصفها معيار التقييم النهائي.

ويفسّر النورسي ارتباط الحرية بالشريعة من خلال منهجه الفكري القائم على جعل الشريعة معيارًا حاكمًا لتقويم المفاهيم والممارسات، إذ يقول: "إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة، فالإسلام وحده هو ملّتي، لذا أقيم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام"[39]

وفي ضوء هذا الميزان، يعيد قراءة التجربة التاريخية للمشروطية وما رافقها من انقسامات. وفي هذا السياق، شكّل إعلان المشروطية عام 1908م نقطة تحوّل بارزة في مسار الحريات داخل الدولة العثمانية، حيث أدى إلى تباين ملحوظ في مواقف الناس، ولا سيما النخب المثقفة، تجاه مفهوم الحرية والمشروطية. فقد اندفعت بعض الفئات إلى تأييد المشروطية وتوظيفها لأغراض سياسية واجتماعية، في حين قوبلت لدى آخرين بالتحفظ والقلق من تداعياتها على نظام الدولة، بينما اتخذ فريق ثالث موقف التردد والحيرة، في الوقت الذي أبدى فيه بعض المتأثرين بالحضارة الأوروبية حماسًا غير مشروط لها.

أمام هذا التباين، تبنّى النورسي موقفًا وسطيًا معتدلًا، مستندًا إلى المنهج الإسلامي، فرفض التعصب والجمود الذي يعيق التجديد، كما أنكر التقليد الأعمى للغرب. ودافع عن مفهومي الحرية والشورى في إطار الضوابط الشرعية، مؤكدًا أن المشروطية لا تكون مشروعة إلا إذا التزمت بحدود الشريعة. وقد سعى من خلال مقالاته وخطبه إلى توضيح التصور الإسلامي للحرية والشورى، مركّزًا على بعث الأمل في النفوس، وكسر قيود اليأس، وتقديم معايير شرعية وعقلية لفهم التحولات السياسية بروح إيمانية متوازنة بعيدة عن الانفعال " [(40)]

غير أن النورسي، في مقابل هذا التباين، يتخذ موقفًا وسطيًا يقوم على التمييز بين الحرية المنضبطة والفوضى الفكرية.

[(38)] انظر: بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام ، ص 443،440؛ وانظر: سيرة ذاتية ، ص ١٠٧.

39

[(40)] انظر: بديع الزمان ألنورسي، صيقل الإسلام ، المناظرات، ص ٣٥٥-٣٥٦.

ويرى أن التصوّر الغربي للحرية لا ينسجم مع حقيقة الإنسان المستخلف، ولا مع الدين الحق غير المحرّف، بل إن التجربة الغربية ذاتها كشفت مأزق هذا التصوّر. فمن خلال مسارها التاريخي، ولا سيما منذ العصور الوسطى، التجربة الغربية بين نقيضين: إذ رأت في الحرية الفردية سببًا لظلم المجتمع، فقمعت الفرد باسم الجماعة في النموذج الشيوعي، ثم رأت لاحقًا في حرية المجتمع تهديدًا للفرد، فأطلقت النزعة الفردية المطلقة على حساب المجتمع والقيم الأخلاقية في النموذج الرأسمالي، مما جعل مفهوم الحرية متأرجحًا بين تطرفين متناقضين.

في المقابل، يقدّم الإسلام تصورًا متوازنًا للحرية، يقوم على التوفيق بين حق الفرد وحق المجتمع، دون أن يطغى أحدهما على الآخر. فالحرية في المنظور الإسلامي مفهوم منضبط بإطار شرعي، ومقترن بالعدل والمساواة، حيث يُعدّ العدل الميزان الناظم لحركة الحرية، والضامن لصيانة كرامة الإنسان وإنسانيته، بصرف النظر عن اختلاف معتقداته أو انتماءاته.[41]

وانطلاقًا من هذا النقد النظري، ينتهي إلى بلورة مفهوم بديل للحرية. وينبّه إلى خطورة توظيف مفهوم الحرية لتبرير الانفلات الغريزي والاستجابة المطلقة للأهواء، مشيرًا إلى أن التوافق الظاهري بين المؤمنين والملحدين حول مبدأ الحرية لم يكن سوى توافق شكلي، إذ سرعان ما انكشف التباين العميق في فهم ماهيتها ومجالات ممارستها. فقد انطلق المصلحون من تصور للحرية بوصفها التزامًا أخلاقيًا واتزانًا سلوكيًا منضبطًا بقيم الفضيلة وروح الشريعة، بينما نظر إليها الملاحدة والمتأثرون بالفكر الأوروبي باعتبارها تحررًا من القيود القيمية والأحكام المسبقة، وانقيادًا لما تمليه النزعات النفسية، وهو ما أدى ـ بحسب النورسي ـ إلى إفراغ الحرية من بعدها الإنساني وتحويلها إلى أداة للامتهان الخلقي. والشذوذ " [42]

وانطلاقًا من هذا التشخيص، يؤكد النورسي أن إطلاق الحرية دون إطار ضابط يُفضي إلى تفكك القيم الإنسانية وتلاشي المسؤولية الأخلاقية، الأمر الذي يستدعي إعادة تقويم مفهوم الحرية وربطه بضوابط الشريعة حفاظًا على النظام الاجتماعي وصونًا لمكارم الأخلاق، إذ يقول: "قَيِّدوا الحرية بآداب الشرع، لأن عوام الناس والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحرارًا سائبين بلا قيد".[43]

حاول النورسي لإنقاذ الحرية من سوء المفسرين لها ويقول: الحرية الحسناء ما هي إلا تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والرذائل. بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر

[41] انظر: صيقل الإسلام، ٣٥٥-٣٥٦.

[42] انظر: د. عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن، ص 298.

[43] صيقل الإسلام، ٤٤٠- ٤٤٣.

النفس الأمارة بالسوء.إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين.[44]

وهو يرى أن الحرية الشرعية تمثل السبيل إلى الاعتصام والوحدة والمحبة والسعادة، ويشبّهها بملك الموت الذي يقبض أرواح الأفكار المنحرفة والأخلاق الفاسدة التي تتعارض مع منهج الإسلام وتتنافى مع مفهوم الحرية الشرعية. ومن هذا المنطلق، يحذّر من إساءة تفسير الحرية أو فهمها فهمًا مغلوطًا، لأن ذلك يؤدي إلى الوقوع في الاستبداد، ويجعل أصحابه يتجرعون مرارة الذل والاستعباد.

ثم يؤكد أن الحرية الشرعية، بعد أن صاغها في إطار الجمال والحسن، هي حرية حسناء متحلية بالفضائل، متربعة على عرش سامٍ كعرش بلقيس. (45)

كما يبشّر الأمة الإسلامية بأن هذه الحرية قد وُلدت في الوقت المناسب، بعد أن نمت في رحم الحمية الإسلامية، ووُضعت في كنف الفضائل، داعيًا إلى تنشئتها وتربيتها تربية قائمة على ثوابت الفطرة السليمة والأخلاق النبيلة. ويبيّن " أن الحمية الإسلامية التي عانت سابقاً كثيراً من الضوائق والبؤس ، وهي ليست أهلا لها ، قد فارت فوراناً عظيماً بحيث اكتملت الحرية في ذلك الرحم ، فحالما يحين وقت الولادة وتظهر إلى الوجود ستعلن هيمنتها ، فلا يتمكن أن يتصدى أو يزلزلها أي شيء " (46)

ومن خلال ذلك يؤكد النورسي أن الحرية تُعدّ من القيم الإنسانية الكبرى، وركيزة أساسية في بناء الشخصية، ونقطة الانطلاق نحو تنظيم اجتماعي سليم، يحقق الفاعلية والبناء والتقدم والازدهار.

وبذلك يكتمل تصوره للحرية بوصفها قيمة مشروطة وليست مطلقة.

رابعا: نقد جمعية الاتحاد والترقي

كما أن جمعية الاتحاد والترقي لم تكن راعيةً للإسلام، بل جاءت في حقيقتها لمحو هذا الدين، وإسقاط الخلافة، واقتلاعها من جذورها. ولم تكن شعارات الحريات التي رفعتها إلا أكاذيب لم ترقَ إلى مستوى الاحترام، إذ أقامت نظمًا تدّعي إرساء الحرية، بينما كانت في واقعها غاية في الاستبداد.[47]

---

[44] صيقل الإسلام، ص ٣٦٧.

(45) بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام ، ص 469 .

(46) المرجع السابق : ص 469.

[47] انظر: أ. د. عبد العزيز محمد الشناوي،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، (دار الانجلو المصرية، ١٩٨٠م) ص ٢١١-٢١٢.

أى جمعية الاتحاد والترقي لم تكن مشروعًا إصلاحيًا يخدم الإسلام أو الأمة، بل كانت مشروعًا يهدف إلى إضعاف الدين، ثم إسقاط الخلافة، وقطع الصلة بين الحكم والشريعة. ولهذا اعتبر شعارات الحرية التي رفعتها مجرد أدوات دعائية، تخفي وراءها واقعًا استبداديًا أكثر قسوة، حيث استُخدمت الحرية كشعار، لا كمبدأ يُطبَّق فعليًا.

الخاتمة (نتائج وتوصيات)

أولًا: النتائج

توصل البحث إلى عدد من النتائج المهمة، من أبرزها:

١. أن الحرية في الإسلام ليست مطلقة، بل هي حرية منضبطة بالقيم الأخلاقية والتشريعات الشرعية، بما يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع.

٢. أن القرآن الكريم يؤسس لمفهوم الحرية القائمة على الاختيار والمسؤولية، ويربطها بالجزاء الأخروي.

٣. أن بديع الزمان سعيد النورسي قدّم تصورًا متوازنًا للحرية، يجمع بين الانطلاق الفردي والانضباط الأخلاقي.

٤. أن النورسي يرى أن الحرية الحقيقية لا تنفصل عن الإيمان، وأن الانحراف في فهمها يؤدي إلى الفوضى الأخلاقية والاجتماعية.

٥. أن موقف النورسي من المشروطية كان موقفًا وسطيًا، حيث قبل بها من حيث المبدأ، ورفض ممارساتها المنحرفة.

٦. أن نقده لتجربة جمعية الاتحاد والترقي يعكس وعيًا سياسيًا عميقًا، وحرصًا على ربط الحرية بالقيم والعدالة.

ثانيًا: التوصيات

بناءً على ما سبق، يوصي البحث بما يلي:

١. ضرورة تعزيز مفهوم الحرية المسؤولة في المجتمعات الإسلامية، وربطها بالقيم الأخلاقية والدينية.

٢. الاهتمام بدراسة فكر بديع الزمان سعيد النورسي وإبراز إسهاماته في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة.

٣. تصحيح المفاهيم المغلوطة حول الحرية التي تدعو إلى الانفلات من كل الضوابط.

٤. إدماج موضوع الحرية المنضبطة في المناهج التعليمية لتعزيز الوعي لدى الأجيال.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبالله التوفيق.